الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ : ١٢ مايو ٢٠٠٤

لأول مرة : واشنطن في موقف الدفاع وليس الهجوم

منظر الإدارة الاميركية هذه الأيام يدعو إلى الرثاء ، وهو ما لم يخطر على بال أحد ممن تابعوا أداء المتحدثين باسم الإدارة في مثل هذا الوقت من العام الماضي ، حيث كانوا يتباهون بإسقاط بغداد ، ويسهبون في الحديث عن العراق الجديد ، الذي رشحوه ليكون نموذجا للدولة الحديثة والديمقراطية التي يتطلع الجميع الي احتذائها ، وحين كانوا يلوحون بإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط ، لكي يكون أكثر تهذيبا واستقامة ، وأكثر تماهياً مع السياسة الاميركية .

وقتذاك ، كانت المعنويات الاميركية في السماء ، وكان وزير الدفاع دونالد رامسفيلد لا يكف عن غمز وتقريع الدول الأوروبية التي عارضت غزو العراق ، متحدثا عن أوروبا القديمة والعجوز ، وأوروبا الجديدة الصاعدة . وكانت مصادر البيت الأبيض ووزارة الدفاع تتحدث عن معاقبة دول الضد ، وحرمانها من الاشتراك في عملية تعمير العراق ، أما حديثها عن الأمم المتحدة فقد كان يتراوح بين اللامبالاة والازدراء .

ليس ذلك فحسب ، وإنما كان تقدير المخططين في واشنطون أن الأمور سوف تستقر في العراق خلال عام تماما ، خلال شهرين أو ثلاثة على أبعد الفروض . وأن الرياح في المنطقة سوف تأتي للأميركان بكل ما يشتهون ، ولذلك رتبوا أمورهم لكي توظف الإنجازات الاميركية في المنطقة لصالح حملة الرئيس بوش الانتخابية ، بحيث تطلق أقوى قذائف الحملة في شهر يونيو (حزيران)، على نحو يجهض في وقت مبكر حملة منافسة السناتور الديمقراطي جون كيري .

بمقتضى هذا السيناريو فقد رأى مخرجو الحملة أن تجري انتخابات الرئاسة الأفغانية في شهر يونيو (اشترطوا أن يكون الرئيس - المنتخب ديمقراطيا - هو الرئيس الحالي حامد كرزاي ، رجل أميركا في أفغانستان الجديدة). وإتمام هذه الخطوة يمكن الرئيس بوش وهو يقدم كشف حسابه أن يسوقها باعتبارها إنجازا: نقل أفغانستان من حكم طالبان المتخلف إلى حكم الدول العصرية الديمقراطية الحليفة لاميركا ، وقدروا أيضا أن تسلم السلطة إلى العراقيين في الشهر ذاته 30 يونيو ، الأمر الذي يمكن الرئيس بوش من الادعاء بأنه حرر العراق من استبداد صدام حسين وظلمه ، ثم سلمه إلى أهله معافى وديمقراطيا ، كما اعدوا عدتهم لتوقيع الاتفاق بين الشماليين والجنوبيين على نحو ينهي سنوات الحرب في السودان ، ويعيدون إلى البلد وحدته وسلامه واستقراره .

تصوراً أن ذلك كله سوف يتم خلال شهر يونيو أو قبله بقليل ، الأمر الذي يجعل من الشهر منعطفا مهما للغاية في حملة الانتخابات الرئاسية ، يوفر للرئيس بوش دفعة قوية إلى الأمام ، ويسدد ضربة موجعة وربما قاضية لمنافسه كيري .

غير أن الرياح جاءت بغير ما يشتهون ، فلم يستطع الرئيس كرزاي أن يجري الانتخابات في أفغانستان ، وأجلها إلى شهر سبتمبر (أيلول)، بعدما اكتشف أن حلفاءه الطاجيك تخلى اغلبهم عنه ، أما أهله البشتون فلم يكونوا مؤيدين له من البداية ، فضلا عن التصعيد الذي قام به أنصار طالبان في المناطق البشتونية ، وحين لم يجد مساندة شعبية له ، فإنه آثر تأجيل الانتخابات لكي يعيد ترتيب أموره ويضمن بقاءه في منصب الرئاسة ، وهناك شك كبير في أن يستطيع إجراء الانتخابات التي يريدها في الموعد الجديد .

أما اتفاق الجنوبيين مع الشماليين فهو لا يزال متعثرا ، وهناك معلومات تشير إلى انه قد يوقع هذا الأسبوع أو الذي يليه، هذه الجملة تتزدد منذ أشهر ! إلا أن ذلك إذا تم فإنه لن يحقق السلام والاستقرار المنشودين ، لأن حكومة الخرطوم واجهت مشكلة جديدة في دارفور ، أما الوضع في العراق فإنه لم يكن يبشر بخير قبل فتح ملف تعذيب العراقيين ، فقد أوجعت الاميركيين عمليات المقاومة في الفلوجة والنجف وكربلاء والموصل وبغداد ، الأمر الذي ضاعف من أعداد القتلى الاميركيين ، وجعل من شهر ابريل (نيسان) الماضي واحدا من أسوأ شهور الاحتلال ، ثم جاءت الفضائح والفظاعات التي كشف النقاب عنها في سجن أبو غريب وغيره من سجون الاحتلال ، لكي تزيد الطين بلة ، وتفضح الاميركيين علي نحو شوه صورتهم في مختلف أنحاء العالم ، وأربك الإدارة الاميركية وأحرجها بشكل لم تتوقعه .

كانت نتيجة ما جرى في العراق أن الإدارة الاميركية التي خاطبت الأوروبيين باستعلاء قبل عام ، وتعاملت مع الأمم المتحدة بدرجة ملحوظة من الازدراء غيرت من سياستها بمعدل 180 درجة ، حتى راحت تتودد

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

فهمي هويدي

للأوروبيين طالبة مشاركتهم في قوات التحالف ، وتستغيث بالأمم المتحدة لكي تتدخل في العراق بقرار دولي ، ولكي تتولى عملية نقل السلطة الى العراقيين في 30 يونيو . ليس ذلك فحسب ، وإنما وجدنا المسؤولين الاميركيين، وعلى رأسهم الرئيس بوش يستنجدون بوسائل الإعلام لتطويق فضائح التعذيب وهتك أعراض العراقيين والعراقيات ، فكان أن استدعى قناتين فضائيتين ناطقتين بالعربية لكي يتحدث إليهما مدافعا عن نفسه وإدارته ، كما طلب إجراء حديث مع صحيفة «الأهرام» القاهرية لتوسيع نطاق حملة التجميل واستعادة الاعتبار بعد الفضيحة ، وظل وزراؤه وأركان إدارته يهرولون إلى محطات الإذاعة والتلفزيون ويعتلون مختلف المنابر موضحين ومدافعين ومذكرين بالهدف النبيل الذي يقوم به الاميركيون في العراق .

وإذ يلاحظ المرء ذلك التحرك الدفاعي المضطرب والمحموم ، فإنه يخيل إليه أن الإدارة الاميركية التي قسمت العالم إلى فسطاطين - بالضبط كما فعل أسامة بن لادن وجماعته - فتحدثت عن محور للشر وآخر للخير ، وجدت نفسها فجأة واقفة في قلب محور الشر ، فانتابتها حالة هياج عصبية ، جعلتها تستميت في إثبات نبلها وحسن مقاصدها ، كونها ما زالت ثابتة القدم في محور الخير !

لا عجب والأمر كذلك أن تدرك المسؤولة عن تحسين صورة الولايات المتحدة في الخارج - مارغريت تتوايلر - انها مكلفة بمهمة مستحيلة، الأمر الذي يضطرها إلى تقديم استقالتها من وظيفتها في وقت متزامن مع انكشاف فضائح سجن أبو غريب ، ولم تكن هذه هي الاستقالة الأولى ، وإنما سبقتها استقالة أخرى قدمتها أول سيدة عينت لتتولى تلك المسؤولية - تشارلوت بيرز - ، الأمر الذي لا يمكن تجاهل مغزاه ، المتمثل في الخطأ الفادح في التشخيص ، ذلك أن درجة القبح التي تتسم بها السياسة الاميركية أصبحت تستعصي على أي تحسين أو تجميل . ومن الواضح أن الإدارة الاميركية مصرة على تجاهل تلك الحقيقة ، وأنها متمسكة بمسعى تغيير الصورة مع الإبقاء علي الأصل كما هو . يشهد بذلك الاتجاه إلى إطلاق قناة «الحرة» بعد تأسيس إذاعة «سوا »، وتخصيص عشرات الملايين من الدولارات لهذين المشروعين الدعائيين: الميزانية المطلوبة للحرة عام 2005 قدرت بحوالي 43 مليون دولار .

التوقيت حرج للغاية بالنسبة للإدارة الاميركية ، حيث يتعذر التراجع عن أي سياسة ، حتى وإن كان ذلك من قبيل استعادة الرشد ، في سنة الانتخابات الرئاسية ، ان تظل صورة الرئيس في الداخل مقدمة على صورة اميركا في الخارج ، ولذلك فإن تلك الإدارة تحاول بضراوة ان تحجب عن المواطن الاميركي حقائق الفشل الذي منيت به السياسة الاميركية في الخارج ، تجلى ذلك في منع صور توابيت الجنود الاميركية المرسلة من العراق ، ومحاصرة برنامج «نايت لاين» الذي يعده الاعلامي تيد كوبيل لمحطة «إيه بي سي »، عن الجنود الاميركيين الذين قتلوا في العراق ، ووقف بث البرنامج في القنوات التابعة للمحطة ، كما تجلى في الهجوم العصبي الشرس ، الذي أصبح يتعرض له الاميركيون الذين ينتقدون السياسة الاميركية الخارجية ، من جانب أبواق تحالف المتطرفين والمحافظين في البيت الأبيض ، إذ أصبح أي صوت ناقد متهما في وظيفته ومشكوكا في ولائه بزعم انه يعرض حياة الجنود الاميركيين في الخارج للخطر !

لم يفاجئنا كثيرا ما تم الكشف عنه في سجن أبو غريب ، أو غيره ، فما حدث في أفغانستان تجاوز التعذيب وهتك الأعراض ، إلى الإبادة التي تعرض لها ألوف من عناصر القاعدة وأمثالهم من المدنيين الأبرياء ، ثم إن السجل المخزي للولايات المتحدة في ابادتها للهنود الحمر ، وفي القائها القنبلتين الذريتين علي هيروشيما ونغازاكي ، رغم علم القيادة العسكرية الأميركية أن اليابان اتجهت إلى التسليم بالهزيمة ، هذه الخلفية تجعلنا نستقبل ما حدث في العراق بقليل من الدهشة ، لكن الذي كان مفاجئا حقا هو ذلك التخبط الاميركي والعصبية المفرطة ، التي ما ظننا أنها يمكن أن تصبح سمة لسلوك الدولة الأقوى في التاريخ .

لقد كتبت ذات مرة عن الإجراءات الأمنية الاستثنائية والاعتداءات المتكررة على الحقوق والحريات المدنية التي أقدمت عليها الإدارة الاميركية في داخل اميركا ذاتها ، وقلت وقتذاك إن الولايات المتحدة يبدو أنها تعد مسوغات انضمامها إلى منتدى العالم الثالث ، وجاءت التطورات الأخيرة لكي تعزز هذا الظن وتؤيد النبوءة الساخرة إنهم لا يريدون أن يتركوا لنا شيئا ننفرد به

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية